

ملف القضية*

نظمت هذه القصيدة في لندن في يونيو 1977 بعد حرب حزيران و نشرت في ديوان (نقوش على البحر) المجموعة الشعرية الكاملة -المجلد الأول ص 455 في الموقع المكتبة اللاكتروني

((القضيةُ ... القضيةُ ... القضيةُ))
تعب المذيع ... والتلفاز ... والجمهور ملُّ المسرحية
أصبحت اصواتنا أعلى دويًا من رصاص البندقية
والقرارات التي امتلأت بها كل ملفات القضية
أصبحت برشام أوجاع البلاد الداخلية
كل حكم كاد يسقط أسند ظهره فوق القضية
كل من جاء الى السلطة قهراً قال : من اجل القضية
كل من شئد سجناً... زج فيه الابرياء... يقول من أجل القضية
كل من قتل بريئاً قال : (قد خان القضية)
أصبح القتل يمثل كل صور النرجسية
والرصاص موجه لصدور اصحاب القضية
يسالونك ما القضية ؟
لست ادري ... غير أنني
عندما كنت صغيراً... قيل أن جنودنا يتحاربون مع اليهود
لم أكن اعرف وعد ((بلفور)) ولا أى وعود
لم نكن نعرف حرمان اليتامى أو هراوات الجنود
لم أكن أعلم قصة التقسيم بعد الحرب او معنى الحدود
كنت طفلاً ... كل هم الطفل أن يأتي أبوه بالهدايا كل عيد
بعضنا قد كان يقضي معظم العام وحيد
قد تعود أن نناديه : تعال .. أبن الشهيد
عندما صرت صبياً
في بلادي العربية
وقرأت سيرة الابطال من ألف ... الى ياء الحروف الاجدية
والفتوحات العظيمة ... والحروب الجاهلية
صرت اعرف ما القضية
قصة الشعب المشرد في فلسطين الضحية
صرت أوّمن أننا منذ البداية ... قد تطول بناء البقية
وأنظرنا ربع قرن بل واكثر
والقضية مثل أعمى ... في خطاه يتعثر
كل عام يصبح الدرب خطيراً ... والذي في الدرب أخطر
وبلاد لم تكن تعرف ما التحرير ... بدأت تتحرر

كل خريطة في الأرض ... موقعها تغير
والقضية كل يوم في حساب النصر تخسر
أصبحت لغزاً سياسياً ... ورمزاً لا يفسر
يسألونك ما القضية
انها صوت الاذاعات التي تعوي صباحا ومساء
والدواوين التي ملأت مكاتبنا .. باسم الشعراء
والبيانات التي تصدر في كل لقاء
والمواثيق التي تحظى بعطف الرؤساء
والحدود التي خططها كل الخبراء
والرسومات التي ظلت معلقة شواهد فوق كل الواجهات
والبنادق .. والمدافع عند.. شرم الشيخ والعقبة... في كل الجهات
وبقايا بعض أحلام قدامى الجنرالات
يسبحون مع الخيال
أحدهم كان(عريفاً) ثم أصبح فجأة في رتبة مارشال
يحلّم أن نبني له في الساحة ... يوماً ... تمثال
كان قائد رقعة تمتد في حجم المحيط
فاصبحت كوم رمال
وازداد عدد اللاجئيين.... تسربوا كالنمل من قلب التلال
ضاقت بهم كل الخيام.... فشيّدوا أخرى على قمم الجبال
راح عشرات الضحايا من ملوك ورجال
وأنتهى الجيل الذي بدأ النضال ومات في نار النضال
ترك الرسالة في يد الجيل الذي ما عاش يوماً في اراضية القديمة
رأى منازل أهله مرسومة في الخرط في صور أليمه
ورأى الحجارة ... والسقوف وبعض آثار الجريمة
ولم يرث غير القضية والأرادة والعزيمة
جاء يحمل شارة النصر تغطي كل واجهة الهزيمة
سقط القناع عن الوجوه وظهر عشاق الوليمة
جاء جيل ... جيل بعث يحمل الموت هدية
ليس بين عتاده قلم وأوراق وفلسفة الوصية
نبت كل القادة المتسولين لدى المحافل باسم اصحاب القضية
طرد كل متاجر بالأرض ... كل مزاول يعلو المنصة للتحية
لم ينم يوماً على كيس من الرمل
ولم تقبض اصابعه زناد البندقية
يسألونك ما القضية ؟
قل اذا انتهت القضية
سوف يبقى كل شئ في بلاد العرب ثابت
والضفادع قد تكف عن النقيق ويصبح المذيع صامت

والبيانات التي تخترق طبل الأذن سوف يكون صداها خافت
قل اذا انتهت القضية
سوفَ نبقى بلا هوية
قل لهم قد ضاعت الارض
وضاعت في الملفات القديمة كل اوراق القضية
لن يعيد الأرض ... غير المدفع الداوي وصوت البندقية
لندن / حزيران 1977م